المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 شباط 2024
No.12 Feb 2024

مَوْقِفُ المُسْتَشْرِقِينَ مِنْ القَضَايَا الدِّلاليَّةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ (دِراسَةٌ تَحْليليَّةٌ)

م.م. علي جبار خضير
مديرية تربية ذي قار

المستخلص:

لا ريبَ أنَّ لِظاهِرَةِ الاِسْتِشْراقِ أَثَرًا عَظِيمًا فِي العالَمِ الإسْلاميّ والْعالَمِ الغَرْبيّ عَلَى السَّوَاءِ، فَالْوَاقِعُ أَنَّ الاِسْتِشْراقَ كَانَ وَلَا يَزَالُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأ مِنْ قَضيَّةِ الصِّراعِ الحَضاريّ بَيْنَ العالَمِ الإسْلاميّ والْعالَمِ الغَرْبيّ ، فَكَانَ لِلْمُسْتَشْرِقِينَ الأَثَر الكَبير فِي صياغَةِ التَّصَوُّراتِ الأوربيَّةِ عَنْ الإسْلامِ ، بِفَضْلِ دِراساتِهِمْ وَجُهودِهِمْ لِمُخْتَلَفِ العُلُومِ الإسْلاميَّةِ لَاسِيَّمَا اللُّغَةُ العَرَبيَّةُ مِنْهَا، فَكَانَ هُنَاكَ ثَمَّةَ جُهود وَمَواقِفُ مُخْتَلِفَة مِنْ الظَّواهِرِ الدِّلاليَّةِ لَاسِيَّمَا مِنْهَا اَلْتَرادُفُ والتَّضادُّ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ وَفِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَقَدْ اهْتَمّ البَحْثُ بِتِبْيانِ مَواقِفِهِمْ وَجُهودِهِمْ مِنْهَا، مُؤَكِّدًا عَلَى مَوْقِفِهِمْ عَنْهَا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، الدلالة،اللغة، الترادف، التضاد.

The position of Orientalists on semantic issues in the Arabic language (An analytical study)

A. L. Ali Jabbar Khudair
Thi Qar Education Directorate

Abstract:

There is no doubt that the phenomenon of Orientalism has had a great impact on the Islamic world and the Western world alike. The reality is that Orientalism was and still is an integral part of The issue of civilizational conflict between the Islamic world and the Western world. The Orientalists had a great influence in shaping European perceptions of Islam, thanks to their studies and efforts. They are for various sciences There were various efforts and positions regarding semantic phenomena, especially synonymy and opposition in the Arabic language. And in the Holy Qur'an, the research was interested in clarifying their positions and efforts regarding it, emphasizing their position regarding it in the Holy Qur'an.

Keywords: Orientalism, semantics, language, synonymy, antithesis.

المُقَدَّمَةِ .

الحَمْدُ لِلهِ اَلَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الكَائِنَاتِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ (ص) اَلَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِأَعْظَمِ المُعْجِزَاتِ فَحَوَى أصْناف العُلُومِ، وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

أمّا بعد :

لا ريبَ أنَّ لِظاهِرَةِ الاِسْتِشْراقِ أَثَرًا عَظِيمًا فِي العالَمِ الإسْلاميّ والْعالَمِ الغَرْبيّ عَلَى السَّوَاءِ ، فَالْوَاقِعُ أَنَّ الاِسْتِشْراقَ كَانَ وَلَا يَزَالُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأ مِنْ قَضيَّةِ الصِّراعِ الحَضاريّ بَيْنَ العالَمِ الإسْلاميّ والْعالَمِ الغَرْبيّ ، فَكَانَ لِلْمُسْتَشْرِقِينَ الأَثَر الكَبير فِي صياغَةِ التَّصَوُّراتِ الأوربيَّةِ عَنْ الإسْلامِ ، بِفَضْلِ دِراساتِهِمْ وَجُهودِهِمْ لِمُخْتَلَفِ العُلُومِ الإسْلاميَّةِ لَاسِيَّمَا اللُّغَةُ العَرَبيَّةُ مِنْهَا ، فَكَانَ هُنَاكَ ثَمَّةَ جُهود وَمَواقِفُ مُخْتَلِفَة مِنْ الظَّواهِرِ الدِّلاليَّةِ لَاسِيَّمَا مِنْهَا اَلْتَرادُفُ والتَّضادُّ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ وَفِي القُرْآنِ الكَرِيمِ ، وَقَدْ اهْتَمّ البَحْثُ بِتِبْيانِ مَواقِفِهِمْ وَجُهودِهِمْ مِنْهَا ، مُؤَكِّدًا عَلَى مَوْقِفِهِمْ عَنْهَا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ . .

وَقَدْ جاء البحث على مَبْحَثَيْنِ هُمَا :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : التَّطَوُّرُ الدِّلالِيُّ فِي العَرَبِيَّةِ وَآراءِ المُسْتَشْرِقِينَ ، وَبَحَثْنا فِي بَعْضِ الإِشَارَاتِ فِي ثَنَايَا كِتاباتِ المُسْتَشْرِقِينَ عَنْ التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ اَلَّذِي يُعَدُّ مُنْطَلَقًا لِلظَّوَاهِرِ الدِّلالِيَّةِ الأُخْرَى .

والمَبْحَثُ الثّاني: موقف المستشرقين من الظواهر الدلالية في القرآن الكريم.

وَقَدْ رَكَّزَ البَحْثُ عَلَى اَقْوالِهِمْ وَجُهودِهِمْ فَقَطْ ، وَقَدْ تَوَصَّلَ البَحْثُ إلى مَجْموعَةٍ مِنْ النَّتائِجِ أَهَمُّها:

إِنَّ جُهودَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ قَلِيلَةٌ جِدًّا لَا تُضاهِي مَواقِفَهُمْ وَجُهودَهُمْ مِنْ المَوْضُوعَاتِ الأُخْرَى، وَيَبْدُو هَذَا مِنْ قَبيلِ أَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ فِي مَا يَجِدُونَهُ مَنْفَذًا لِلطَّعْنِ مَثَلًا .

وَاعْتَمَدْنا عَلَى مَصادِرِهِمْ كَثِيرًا ، إِلَا فِي بَعْضِ المَواضيعِ القَلِيلَةِ جِدًّا اَخْذْناها مِنْ بَعْضِ المُؤَلَّفاتِ لِلْبَاحِثِينَ العَرَبِ ، وَيَكَادُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ واحِدٍ فَقَطْ .

وَالمَشَاكِلُ اَلَّتِي واجِهَتْنا هِيَ صُعوبَةُ العُثورِ عَنْ جُهودِهِمْ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَدْروسَةٍ وَغَيْرُ شائِعَةٍ فِي دِراساتِ البَاحِثِينَ الآخَرِينَ .

المبحث الأول : التَّطَوُّرُ الدِّلالِيُّ فِي العَرَبِيَّةِ وَآراءُ المُسْتَشْرِقِينَ :

تَقْديمُ :

يُعَدُّ التَّطَوُّرُ الدِّلالِيُّ أَوْ التَّغْييرُ الدِّلالِيُّ مِنْ الظَّواهِرِ الأَساسِيَّةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَكُلِّ اللُّغَاتِ تَقْرِيبًا، فَاَلْمُفْرَداتُ – عَبْرَ عَوامِلَ مُخْتَلِفَةٍ – تَتَغَيَّرُ دَلَالَاتُهَا ، سَواءٌ أَكَانَ التَّغْيِيرُ نَحْوَ الأَحْسَنِ أَوْ اَلْأَسوءِ ؛ لِأَنَّ مَفْهومَ التَّطَوُّرِ فِي اللُّغَةِ لَا يَعْنِي التَّقَدُّمَ فِي الضَّرورَةِ ، بَلْ هوَ الِانْتِقالُ مِنْ طَورٍ إِلَى آخَرَ ، أَيْ مِنْ شَكْلٍ إِلَى آخَرَ ، فَهَذَا ابْنُ مَنْظورٍ يورِدُ فِي دَلالَةِ (طَور) ، المَعْنَى الآتِي : الطَّورُ : اَلْتارَةُ ، نَقولُ : طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ ، أَيْ تَارَةً بَعْدَ تَارَةٍ[1].

وَقَدْ تَحَدَّثَ كَثِيرًا عُلَماءُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ كَثِيرًا - القُدَماءُ مِنْهُمْ والْمُحَدِّثونَ – عَنْ ظاهِرَةِ التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ فَحَدَّدوا مَفْهومَهُ وَحُدودَهُ وَعَوامِلَهُ وَظَاهِرهُ ، وَكَتَبُ الدَّلالَةِ تَزْخَرُ بِذِكْرِ جُهودِهِمْ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَةِ .

وَلِلْعُلَمَاءِ المُسْتَشْرِقِينَ جُهودٌ أُخْرَى مُتَباينَةٌ فِي الحَديثِ عَنْ التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ ، وَلَكِنْ يَظْهَرُ مِنْهَا انَّها اخْتَصَّتْ فِي تَحْديدِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي لُغاتِهِمْ ، وَلَيْسَ هَذَا مَحَلَّ دِراسَةِ اَلْبَحْثِ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا صَدَرَتْ مِنْهُمْ بَعْضُ الإِشَارَاتِ فِي ثَنَايَا كِتاباتِهِمْ مِنْ خِلالِ اشَارَاتٍ سَطْحِيَّةٍ – عَنْ ظاهِرَةِ التَّطَوّر الاعِجازِيَّةِ فِي لُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ مَثَلًا .

وَسَيُحَدِّدُ هَذَا البَحْثُ إِشَّارَاتِهِمْ تِلْكَ ؛ لِبَيَانِ مَوْقِفِهِمْ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطيعُ البَحث .

إِشَارَاتُ المُسْتَشْرِقِينَ فِي التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ :

قَبْلَ أَنْ نَذْكُرُ آرَاءَ المُسْتَشْرِقِينَ اَوْ مَواقفهمْ مِن التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ يُمْكِنُ اَنْ نُشيرُ إِلَى مَفْهومِ التَّطَوُّرِ الدِّلالِيِّ وَبَعْض مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِ ..

التَّطَوُّرُ أَمْرَ تَقْتَضِيهِ طَبيعَةُ الحَياةِ ، وَهُوَ شَيْءٌ يَفْرِضُهُ الِانْتِقالُ مِنْ حَالٍ إِلَّى حَالٍ ، وَمِن وَضْعٍ إِلى اَخَرَ وَهُوَ يَحْمِلُ أَشْكالًا وَمَظاهِرَ مُتَنَوِّعَةً وَمُتَعَدِّدَةً فَهُنَاك التَطَوُّر الِاجْتِماعِيِّ والتَّطَوُّرِ الِاقْتِصادِيِّ والتَّطَوُّرِ الصِّناعِيُّ والتَّطَوُّرُ العِلْمِيُّ ، وَلَمّا كَانَتْ اللُّغَةُ هِيَ الوَسيلَةَ الافْضَلَ لابْرازِ هَذِهِ المَظاهِرِ كافَّةً ، فَقَدْ كَانَ لِزَامًا حُدوثُ التَّغْيِيرِ والتَّطَوُّرِ فِيهَا ، بِالشَّكْلِ اَلَّذِي يُوَاكِبُ التَّطَوُّراتِ اَلْسابِقَةِ جَميعَها وَيَعْكِسُها ، وَهَذَا مَا دَفَعَ البَعْضَ لِاعْتِبارِ [2] (اللُّغَةُ كَائِنًا حَيًّا لَهُ طَبيعَتُهُ الذّاتِيَّةُ وَأَنَّ تَطوَّر اللُّغَة مَحْكُومٌ بِقَوانينَ ثابِتَةٍ كَاَلْقَوانينِ اَلَّتِي تَحْكُمُ مَظاهِرَ التَّطَوُّرِ الأُخْرَى فِي الطَّبيعَةِ) [3].

وَيُعَدُّ التَّطَوُّرُ الدِّلاليُّ مِنْ أهْمِ القَضَايَا اللُّغَويَّةِ وأبْرَزَها وَالَّتِي شَغَلَتْ وَمَا تَزَالُ تَشْغَلُ الدَّرْسَ اللُّغَويَّ ، وَلَا سِيَّمَا اَنّ مَوْضوعَ تَغْيِيرِ المَعْنَى وأشْكالِهِ وأسْبابِهِ ، وَمَا يَتَدَخَّلُ فِي حَياةِ الألفاظِ اَوْ مَوْتِها ، قَدْ شَغَلَ عَلَى اللُّغَةِ وَاسْتَوَى عَلَى اهْتِماماتِهِمْ فِي هَذَا المَجالِ .

وَقَدْ ارْتَبَطَ الدَّرْسُ الدِّلاليُّ بِالدَّرْسِ اللُّغَويّ ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ بِمُكَوّناتِها هِيَ الحاصِلُ الأبْرَزُ لِلْمَعْنَى ، فَأَيَّةُ دِراسَةٍ لِلُّغَةِ لَابُدَّ اَنْ تَتَعَرَّضَ لِمَعَانِي المُفْرَداتِ وَدَلالاتِها ، والتَّطَوُّرِ الدِّلاليّ يُشَكِّلُ بِالتَّالِي جُزْءًا مِنْ التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيّ اَلَّذِي يَشْمَلُ قِطاعاتِ اللُّغَةِ المُخْتَلِفَةِ وَهِيَ الصُّكوكُ وَاَلْنَحْوُ والصَّرْفُ والدَّلالَةُ ، وَمِن اَلْقَوانينِ المُقَرَرةِ أنّ اللُّغَةَ تَتَطَوَّرُ ، وَانْ هُنَاكَ أسْبابًا كَثيرَةً لِتَطَوُّرِ اللُّغَاتِ اَلَّتِي تَبْتَعِدُ عَنْ الجُمودِ والنِّسْيانِ وَاَلْتَمَرْكُزِ حَوْلَ مَعانٍ واحِدَةٍ لِلْأَلْفَاظِ بَلْ [4] (اَنّ الإتِّجاهَ الطَّبيعيّ لِلُّغَةِ ، وَبِخاصّةٍ فِي صورَتِها الدَّارِجَةِ ، اَوْ اَلْمُكْتَمِلَةِ ، هوَ اتِّجاهٌ يَبْعُدُها عَنْ المَرْكَزِ ، فَاللُّغَةُ تَميلُ الَى التَّغْيِيرِ ، سَواءٌ خِلالَ الزَّمَنِ اَوْ عَبْرَ المَكانِ ، الَّى الحَدِّ اَلَّذِي لَا تَوَقُّفُ تَيَّارُهُ العَوامِلَ الجاذِبَةَ نَحْوَ المَرْكَزِ هَذِهِ الخاصّيَّةِ لِلُّغَةِ تُشَكِّلُ الإساسَ فِي كُلِّ تَغَيُّرٍ لُغَويّ)[5].

وَيَذْهَبُ تيرا إلى ذَلِكَ المَفْهوم فِي التَّطَوُّرِ الدِّلاليّ ، فَيَقُولُ : ((اَنّ مَعاني الكَلِماتِ لَا يُمْكِنُ اَنْ تَظَلّ ثابِتَةً بَلْ أَنَّهَا عَلَى الدَّوَامِ تَنْتَقِلُ فِي هَذَا الإتِّجاهِ اَوْ ذَاكَ تَحْتَ ضَغْطِ عامِلٍ لُغَويّ وَثَقافيّ اَخَر)) [6].

فَنَخْلِصُ مِنْ ذَلِكَ اَنّ التَّطَوُّرَ اللُّغَويّ اَوْ الدِّلاليّ هوَ صِيْغَةٌ ثابِتَةٌ لِلُّغَاتِ ، فَاَلْدَلالاتُ تَنْتَقِلُ مِنْ مَعْنَى إثْر عَوامِلَ اَوْ مُسَبِّباتٍ كَثيرَةٍ بِحَسَبِ المَوْضِعِ والْحاجَةِ ، وَذَكَرْنا - فِي مَا سَبَقَ - اَنّ اللُّغَةَ العَرَبيَّةَ تَظْهَرُ فِيهَا هَذِهِ الصّيغَةَ ، وَنَجِدُ تَحْديدَ ذَلِكَ عِنْدَ عُلَماءِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ عِنْدَ المُحَدِّثينَ خُصُوصًا ، وَكُتُبُهُمْ زاخِرَةٌ بِذَلِكَ ، يَعْنِي اَنْ نَعْرِفُ مَوْقِفَ المُسْتَشْرِقِينَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ ، وَهَذَا مَا يَقْصِدُهُ المَبْحَثُ .

وَفِي تَبيينِ مَوْقِفِ المُسْتَشْرِقِينَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ ، لَمْ نَجِدُهَا مَحْضُ اِهْتِمامِ اَلْعُلَماءِ الغَرْبِيّينَ ، فَلَمْ نَجِدْهُمْ - خُصُوصًا فِي كُتُبِ الدَّلالَةِ - يُشِيرُونَ لِمَظاهِرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ ، وَهَذَا مَا يُثِيرُ لِلْغَرَابَةِ صَرَاحَةً فَلَوْ اطَّلَعْنا عَلَى كُتُبِ الدَّلالَةِ مَثَلًا عِنْدَ (بالْمرْ) ، وَعِلْمِ الدَّلالَةِ عِنْدَ (جُونْ لابتر) ، فَلَمْ نَجِدهُمْ قَدْ اشَارُوا لِتَبْيينِ هَذِهِ اَلْظاهِرةِ فِي اللُّغَةِ ، فَضْلًا عَنْ جُهودِ المُسْتَشْرِقِينَ الأخْرَى ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا نَجِدُ بَعْضَ الإشَارَاتِ السَّطْحيَّةِ جدًا ، وَغَيْرَ قاصِدَةٍ لاظْهارِ هَذِهِ الظّاهِرَةِ فِي اللُّغَةِ ، بَلْ هِيَ اشَارَاتٌ فِي ثَنَايَا كِتاباتِ البَاحِثِينَ اَلْمُسْتَشْرِقِينَ ، فَيُمْكِنُ فِي هَذَا المَبْحَثِ ذِكْرُها وَتَوْجِيهُهَا بِمَا يُنَاسِبُ وَمَوْضِعَ بَحْثِنا وَسياقَهُ .

فَنَجِدُ مَثَلًا المُسْتَشْرِقَ الأُلمانيَّ فِي سِيَاقِ الحَديثِ عَنْ تَمْيِيزِ لُغَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَرَفْعِها عَنْ لُغَةِ الشُّعَراءِ مِنْ حَيْثُ الأثَرِ والْفِكْرِ اَلَّذِي يَنْطَوِي تَحْتَ كَلِماتِهِ وألْفاظِهِ ، يَقُولُ المُسْتَشْرِقُ (يُوهَانْ فك) فِي كتابه (العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) ، (إن لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يسيرٍ عن لغة الشعراء ، فهي تعرض من حيث هي أثرٌ لُغوي ، صورةً فذةً لا يدانيها أثر لغوي على الإطلاق، ففي القرآن ، لأول مرَّة في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياً له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة على حين أنَّ هذا الأثر العظيم ، التي وجد التعبير الموائم لمضمون جديد برُمَّته، إنّما يصور مجهوداً لمُحمد صلى الله عليه وآله وسلم جدٌّ أصيلٌ ...) [7].

فالباحث على الرغم من أنّ سياق حديثه لا يتحدث عن التطور الدلالي – لكنه يمكن أنْ يُحسب عليه طالما هو يتحدث عن الأسلوب القرآني ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة ، والمجاز هو مظهر من مظاهر التطور الدلالي أو الانتقال في دلالة الألفاظ ، وأيضاً أنّ النّص فيهِ تقييمٌ واضحٌ للغة القرآن الكريم، وهي اللغة الإعجازية للغة العربية ، فلا بأس أن نعدّ هذا النص موجهاً في جهة تقييم اللغة العربية من ناحية الانتقال الدلالي فيها ...

وقريب من هذا السياق نجد مستشرقاً آخر ينبّه على حالة أخرى كانت ملازمة للقرآن الكريم تمثلت بما استحدثه من ألفاظ قديمة لكنها ظهرت كمعانٍ جديدة توافق ما عليه الحالة الإسلامية الجديدة التي نفخت فيها روح الإسلام دلالات تعبر عن بعض الطقوس الإسلامية من نحو الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الألفاظ التي ظهرتْ بلباسٍ إسلامي يختلف عمَّا سواه ، فقال المستشرق الفرت : ((من المعلوم أنَّ كل

الدراسات اللغوية انْطَلقت من القرآن الكريم ومن حديث (النبي) محمد ، الأول يحتوي على قواعد الإيمان ، والثاني يتعلق بالحياة المدنية يخبر عنها ويشرِّع لها : ويجب على المؤمن اتباع كليهما ، وعليه أنْ يعرف مضمونها بدقة ...)) [8].

واتبع كلامه وقال : ((ومن المؤكد أنَّ محمداً لم يكتفِ بأن يبلغ اتباعه آراءً جديدة ، بل أوجد أيضاً ألفاظاً جديدة ، أعني أنّه أعطى معنى جديداً لم يكن معروفاً لعبارات وألفاظ معروفة ومقدار أمثال هذه الألفاظ الإسلامية ليس بالقليل ، لكن لم تقتصر صعوبة الفهم على هذا بل الأمر الرئيسي هو أنّ القرآن الكريم والحديث كانا بلهجة قريش ، وهي لهجة لم يكن يفهمها غير القريشيين إلا نصف منهم))[9].

يظهر من نص كلام المستشرق أنه يُدير الكلام حول أثر الإسلام في التطور الدلالي ، خصوصاً باتباع بعض من الألفاظ ذات الدلالات المعنية شيئاً من روحه وسياسته وتكبراته ، فكان الإسلام الجديد قد غير من معاني ودلالات كثيرة من الألفاظ لا سيما ما يتعلق بالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها ... وهذا ما يُذكر عادة في دائرة التطور الدلالي من مظاهره من صفة التوسع في المعنى ، فتلك إشارة سطحية أو اعتراف من المستشرق فيما يتعلق بالتطور الدلالي في اللغة العربية .

وفي السياق نفسه نجد مستشرقاً آخر يشير إلى مسألة المجاز في اللغة العربية ، والمجاز - بالمفهوم المعروف - هو جزء أساسي في تمثيل ظاهرة التطور الدلالي ؛ إذ الألفاظ تنتقل دلالاتها من معنى إلى معنى آخر ، عن طريق الاستعمال المجازي ، الخارج عن المعنى المعجمي للكلمة نفسها ، فلهذا المعنى يشير المستشرق نولدكه ، ويرى أنَّ مسألة المجاز في العربية قد توهم بعضهم في شرح لفظة أو عبارة أو آية أو غيرها ، وخاصة عندما يأخذ بأصل المعنى لتلك اللفظة أو العبارة ويترك ما هي عليه من قوة المجاز الذي يحيل معنى اللفظة الأصل إلى معنى آخر يختلف عنه ، فيقول نولدكه : ((وكثير من الأخبار التي تُروى لشرح قصيدة من القصائد ، إنما نشأت بسبب سوء تصوّر لبعض المواضع في القصيدة ، خصوصاً إذا أخذ المعنى الحرفي للكلمات بدلاً من التعبير المجازي ...)) [10].

واضح من قول المستشرق أنه يعرف سمة التعبير المجازي في اللغة العربية ، فهو عبَّر عنها كما هي في موضع الحديث عن شرح القصائد بالمعنى الحرفي بدلاً من المعنى المجازي ، فهو يميز بين هذين المعنيين ، وتلك إشارة صريحة للتعبيرات المجازية في اللغة العربية ، وهو قد كان يعرفها ويميز بينها وبين المعنى الحرفي أو المعجمي .

ونجد أيضاً المستشرق (كولين تيرنر) ، يتحدث عن لغة القرآن وتحديد ما فيها من جوانب إعجازية في بعض الجوانب البلاغية - على حسب تسميته - ، فهو يظهرها معجباً بهذه اللغة وما فيها فيقول : ((في الحقيقة أنَّ لغة القرآن الكريم تعتبر لغة فريدة من نوعها ، متميزة عن غيرها من الأعمال الأدبية الدنيوية التي أصدرها العرب في العصور السابقة للإسلام من حيث بنية الجملة والهيكل النصي ككل ، وكما يؤكد العديد من الخبراء في مجال الأدب العربي ، فإن القرآن الكريم يتميز من حيث الإبهار في الأصوات والبلاغة في الألفاظ وجمال التعبير والمجاز والاعجاز في التجانس الصوتي ، وتجنيس الأحرف في بدء الكلمات المتتابعة أو قافيتها ، وكذلك في الوزن والسجع والتسمية بحكاية الأصوات والتشبيهات الجمالية والحذف . وهكذا ، فإن لغة القرآن الكريم قد وصلت إلى مستوى من الرقي والسمو حتى أنَّ بعض الشعراء العرب في العصر الحديث قد فشلوا في مجاراة بلاغة آيات الرسالة السماوية التي جاء بها محمد (ص) والتي اعتبرها العرب الأوائل معجزة)) [11].

فيُلحظ أنّ المؤلف قد حاول في هذا النص الإشارة إلى تلك الجوانب الإعجازية في لغة القرآن الكريم ، وفي الحقيقة هذه إشارة صريحة لوجود مثل هذه الظواهر في اللغة ، خصوصاً فيما يتعلق بالمجاز وهو الوجه الذي يبحث عن رأي المستشرقين فيه ، فهو يقر بجوده في القرآن ، ويسميه وجه من وجوه البلاغة في الألفاظ ، أي ألفاظ القرآن الكريم ، والمجاز هو وجه من وجوه التطور الدلالي .

وفي سياق قريب من هذا ايضا نجد المستشرق بلاشير يشير بإعجاب إلى عظمة القرآن وإعجازه في مواضع علم البيان الذي يُعد (المجاز) جزءاً منها ، فهي إشارة قد تكون صريحة للإقرار بوجود المجاز في القرآن الكريم ، فيقول : ((هذا الجلال القرآني هو الأثر الوحيد للفصاحة العربية ويستطيع العرب فضلاً عن ذلك أن يكشفوا فيه مختلف أنواع الاستعارات التي تُكَوِّن علم البيان ..)) [12].

ويقول أيضاً بتتابع : ((في جميع المجالات التي اطلعنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان ، أشارت الواقعة القرآنية وغذت نشاطات علمية هي أقرب إلى حالة حضارية منها إلى المتطلبات التي فرضتها اخراج الشريعة الإسلامية)) [13].

فالإقرار بوجود علم البيان هو إشارة صريحة أيضاً لوجود المجاز الذي هو جزء من هذا العلم في اللغة العربية ...

فنخلص من هذه النصوص التي أوردناها من كتب المستشرقين أنفسهم أنها تحمل في طياتها إشارة لوجود مظاهر التطور الدلالي في القرآن الكريم ، وفي إشارة إلى العربية أيضاً ، وقد تجلى ذلك واضحاً فيما ذكرناه من نصوص لهؤلاء المستشرقين ، وعلى الرغم من أنها إشارات سطحية غير كافية لكننا نستطيع – من خلالها – أن نقول : إنّ بعض المستشرقين يقرون بوجود هكذا ظواهر في القرآن الكريم واللغة العربية ، ولكن المؤسف أنهم لم يشيروا إلى تحديد وجوه تلك المجازات وتحديد بعض منها في القرآن مثلاً ، ولكن يبدو أنهم يعرفون أنّ هذا المجال قد أشبع في الدرس من قبل العلماء العرب أنفسهم لذلك كان قصدهم التنبيه عليه فقط ...

المبحث الثاني : موقف المستشرقين من الظواهر الدلالية في القرآن الكريم :

توطئة :

بحث علماء اللغة علاقة اللفظ بالمعنى ، لاكتشاف المعاني من خلال الألفاظ الموضوعة لها ، وقد شكلت الألفاظ العربية متعددة المعنى حتى أضحت من خصائصها ؛ ونظراً لأهمية هذا الموضوع عُني العلماء العرب بالألفاظ ، ونشأ عن هذه العناية أعمال أثرت التراث اللغوي ، بعضها مستقل في كتب وأخرى في مباحث ، وقد نشأ خلاف في وجود تلك الظواهر ، أو في كثرتها ، وما يزال المتعرضون لهذه الظواهر في اختلاف في وجود هذه الظواهر أو عدم وجودها أيضاً ، وهذه الظواهر هي المشترك اللفظي والترادف والتضاد ، فقد تناول اللغويون القدامى هذه الظواهر ضمن مباحث فقه اللغة ، بل أن منهم من صنف فيها كتباً جمعوا فيها ما يرونه أنها من بابها ، ومن أولئك قطرب في (الأضداد) والأصمعي في (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) ، وابن الأنباري في (الأضداد) ، والرماني في (الألفاظ المترادفة) ، على الرغم من أنّ هناك من ينكر ورودها ، وأيضاً عند المحدثين وردت هذه الظواهر وهناك جهود كثيرة لمن يريد أن يبحث عنه ...

وقد كان المحدثون مختلفين في ورود هذه الظواهر في القرآن ، وخصوصاً ظاهرة الترادف ، فهناك من ينكرها ومن يثبتها ، أنكرتها عائشة بنت الشاطئ مثلاً ، ومن أثبتها إبراهيم أنيس ...

وللمحدثين المستشرقين بعض الجهود في هذه الظواهر ، وعلى الرغم من أنه لم تظهر هذه الجهود في دراسات خاصة ، فنستطيع في هذا البحث أن نظهرها ونحللها .

أولاً : موقف المستشرقين من الترادف :

يُعد الترادف من الظواهر اللغوية المهمة في اللغة العربية وعندَ علمائها ، فقد اهتموا فيه اهتماماً كبيراً قديماً وحديثاً أيضاً ، فقد ذهب بعضهم إلى عدِّ الترادف سمة من سمات العربية ودلالة على اتساعها في الكلام ، حتى قام بعضهم بجمع الكلمات المترادفة ووضعها في مصنفات .

والترادف في اللغة : التتابع ، وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً ، ويقال الليل والنهار ردفان ، لأن كل واحد منهما يردف صاحبه ، وترادفت الكلمتان كان بينهما الترادف ، فترادف الكلمتين أن يكون بمعنى واحد وكذلك ترادف الكلمات ، وهو لفظ استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية [14] .

أما في الاصطلاح فقد عرفه اللغويون تعريفات كثيرة لكنها كلها تتفق على مفهوم واحد ، وهو ما تعددت الفاظه والمعنى واحد ، أو هو لفظ له لفظان أو أكثر لمعنى واحد ، أي دال على معنى قد دلَّ عليه لفظ آخر ، ما يخالفه في بعض حروفه أو كلها بحيث ينطق به كل مَن أراد أن يتكلم به لأي غرض من الأغراض [15].

والترادف عند اللغويين المحدثين فهو مختلف في بعض الشيء اليسير ، فقد سار بعض منهم على نهج اللغويين القدامى في تعريف الترادف ، فقال مثلاً : ما اختلف لفظه واتفق معناه ، أو هو اطلاق كلمات عدَّة على مدلول واحد [16]، ومنهم من أوجد مصطلحاً جديداً وهو مصطلح الترادف التام ، وهو ان تتعدد الألفاظ وتكثر والمعنى واحد ، فالألفاظ وإنْ تعددت إلّا أنها تدل على معنى واحد ، بل يصح أن تقوم كل لفظة مقام الأخرى ، وإنَّ هذا النوع من الترادف نادر الوقوع وهو من الكماليات ، لا يكون إلا فترة قصيرة محددة ، عند وقوعه إذ تبين حقاً أن العربي يفهم من (جلس) شيئاً لا يستخبره من (قعد) [17] وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً في اثباته في اللغة أو انكاره ، وهذه من المسائل الخلافية الظاهرة في اللغة العربية عند العلماء ، فقد خاضوا فيه مخاضاتٍ عسيرة ، فكانوا مختلفين في مواقفهم بين رافض ومؤيد لوجوده [18].

أما في موقفهم من ورود هذه الظاهرة في القرآنِ الكريم فقد اهتم اللغويون قديماً وحديثاً بتطبيقِ نظرياتهم اللغوية على القرآن الكريم ، إذ كان لقظية الترادف نصيب وافر من جهد المشتغلين في القرآن وعلومه ، فإن القرآن الكريم معجزة خالدة ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمل له الاتقياء ، وبهذا الصدد كان لأهل اللغة والتفسير آراء في وجودِ التَرادف في القرآن الكريم ، واشتغلوا بتثبيت آرائهم واسنادهم إلى أدلة من القرآن ، وذلك لما للفظ الترادف من أثر كبير كذلك في تفسير آي القرآن الكريم وتبيانِ مَعانيه [19].

وقد اختلفَتْ آراءُ العلماء العرب القدماء حول وجود الترادف في القرآن الكريم وعدمه ، فقد كانت آرائهم متفاوتة ، وفي اتجاهات متباينة ، فمنهم من اثبت وقوعه ، ومنهم من أنكره ، ومنهم من أثبت وقوعه ثم التمس الفروق بين بعض ألفاظه ، ومنهم مَن أثبت وقوعه على بعض الكلمات في القرآن الكريم ، ومنهم مَن أثبتَ مع المثبتين وأنكر مع المُنْكرين ، حتى ظهرت اتجاهات عدَّة حول مسألة الترادف في القرآن الكريم [20].

أمّا آراء العلماء المحدثين فقد تباينت أيضاً بين مؤيد لوجوده في القرآن الكريم وبين مُنكرٍ ، إذ نجدُ كثيراً من العلماء المحدثين من ذهب إلى التفسير البياني للقرآن الكريم ، وأدركوا من خلاله استحالة قبول فكرة الترادف في اللغة بشكل عام – وفي القرآن الكريم – تحديداً ، ومنهم فضل عباس ، وعائشة عبد الرحمن وحقي محمد خضر ومحمد ياسر خضر الدوري وفاضل صالح السامرائي – فقد أولوا المفردة القرآنية اهتماماً بالغاً فبحثوا في دقائق معانيها ، وبيّنوا حسنَ استعمال القرآن لها ودقة غموضها في السياق ، فلا تُغنِ صاحبتها لها ، ولا تنوب عليها ، إذ السياق والمقام يستدعيها ويطلبها هي دون مثيلاتها ، فانشغل العلماءُ المحدثون في بيان الفروق اللغوية الدقيقة فكانت تلك الفروق معيناً ثراً يستقي منه الدارسون لبيان عدم تساوي المفردات في التعبير ، فأدركوا سر الجمال في آثار المفردة على الأخرى مع اتفاق المعنى [21].

أمّا في موقف العلماء المستشرقين المحدثين فنجد أنّ لهم مواقف مختلفة أيضاً بين منكره وبين مؤيده لوجوده في القرآن الكريم ، ونلحظ ذلك من خلال جهود استشراقية بعضها خاص لدراسة هذه الظواهر في اللغة العربية والقرآن الكريم ، وبعضها الآخر عبارة عن اشارات غير مباشرة ، نستطيع من خلالها أنْ نُحدد رأي المستشرق وتوجهه بين رافض لهذه الظواهر أو مؤيد لها...

ويطالعنا في الدراسة الخاصة لهذه الظاهرة في القرآن الكريم جهود خاصة للمستشرق (الأب هتريكوس لامنس اليسوعي) تجسّدت في كتاب وقع بجزأين بعنوان (فرائد اللغة في الفروق) ، استطعنا أن نحصل على الجزء الأول منه ...

وتُعد دراسة هذا المستشرق من الجهود الرافضة بوجود الترادف في اللغة العربية ، فقد استطاع إثبات ذلك من خلال التماس الفروق الدقيقة بين دلالات الألفاظ التي يظهر منها مترادفة بالمعنى في ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ العربية ؛ إذ ذكر في الجزء الأول حوالي (1639) (ألف وستمائة وتسع وثلاثون) من المفردات المترادفة وبين الفروق الدلالية الدقيقة في استعمالاتها ، معتمداً في ذلك على المعاجم العربية ، لكنه لم يذكر المعاجم بل ذكر مؤلفيها ، مثلاً يقول : قال الراغب ، وهكذا .

وقال المؤلف في مقدمة الكتاب : ((فإن كل لغة تشتمل على مترادفات ، وكلهم في المعنى متشابهان غير أن الترادف التام مما يستحيل كيانه ، ويمتنع في الوضع إثباته . إذ يترتب عليه أن تكون اللغة الواحدة لغتين . ويصير اللسان الفرد لسانين العربية داخلة في السنة التي ذكرناها غير خارجة عن الطريقة التي أوردناها وإنما هي بحر طافح بالألفاظ المتقاربة المعنى . وآخر بالكلم المتشاكلة في المدلول والمغزى . حتى يختلط على الكاتب أن يفرق بينهما وكثيراً ما يستعجم عليه استعمالها في حينها ، فمن كان صاحب اطلاع وبسطة ، أعانه ذلك على تحصيل شيء من هذه المنية . وتذرع إلى الباقي بالمعجمات أو توسل إليه بغيره من الكتب التي تزيل المبهمات أما طلبة المدارس فمطالعاتهم يسيرة ، ومادتهم من اللغة نزيرة غير غزيرة وليس بينَ أيديهم من كتبِ اللغة ما يستعينون بلامع ضيائه ، أو يمشون على نور سنانه . ولو فرض أنهم حصلوا تلك الكتب برمتها ما عانوا بها الكشف الا نادرا لطولها واتساع مادتها)) [22].

وأشار أيضاً المؤلف في مقدمته إلى المنهجية التي اعتمدها بقوله : ((ولذلك فإن احتياج المدارس الى كتاب تُنَظّم فيهِ تلك المترادفات حملنا أن ننتجع كتب أئمة البلغاء، وأكابر علماء اللغة الفصحاء حتى ظفرنا بضالتنا، ووجدنا مادتنا، فجمعنا تلك الألفاظ المشتتة في تأليفهم على أوفق ترتيب وأوردنا ما ذكروا بينها من الفروق على أكمل تهذيب، وبذلنا غاية الجهد في الضبط والإحكام . ليأتي الكتاب على وفق المرام . هذا والله المسؤول أن ينفع به عداد الطالبين ، ويفيد سواد الراغبين بمنّه إن شاء الله)) [23].

هذا ما ذكره المؤلف في مقدّمته ، وفي إشارة واضحة إلى أنّ الترادف في المعنى موجود في كل اللغات على مبدأ التشابه ، إلا أنّ الترادف التام في المعنى يستحيل وجوده ، فيترتب على ذلك أن تكون اللغة بلسانين وبلغتين ، فالعربية غير خارجة عن هذا المبدأ ...

(وكذلك أشار إلى أنه اعتمد جمع المادة من كتب المعاجم وأكابر علماء اللغة الفصحاء ، رتبها ترتيباً هجائياً كما يبدو ..) .

وسنذكر بعض النماذج لنحدد من خلالها طريقة المؤلف في تحديد والتماس المعاني الدقيقة في دلالات الألفاظ ، وكذلك تركز على الألفاظ القرآنية عنده .

ومن الألفاظ في اللغة العربية مثلاً الألفاظ : (الآل والذُّريّة والأهل) ، ذكر المؤلف أنه أخذ الفرق بينها من كتاب الفروق والكليات لأبي البقاء ، فقال : (آل) الرجل ذوو قرابته ، و (ذريته) نسله فكل ذريّة آل وليس آل بذرية . والآل أيضاً يختص بالأشراف وذوي الأقدار بحسب الدين أو الدنيا و (أهل) الرجل من يجمعه وأيَّاه مسكن واحد ، ثم سمّي به من يجمعه وإياهم نسبٌ أو دين أو صنعة)[24].

وفي (الاباء والامتناع والاستنكاف) ، قال : (الاباء شدّة الامتناع فكل إباء (امتناع) وليس كل امتناع إباء . قالهُ الراغبُ ويدل عليه قول القرآن : (إلا إبليس أبى واستكبر) فإن المراد شدَّة الامتناع .

وقال أبو البقاء : الإباء هو الامتناع باختيار وهو غير الاستكبار والاستنكاف ، تكبَّر أنفةً) [25].

وفي الفرق بين الاجتماع واللقاء ، قال : (قال الطوسي : (اللقاء) هو الاجتماع على وجه المقارنة والاتصال فلا يكون لقاء كاجتماع القوم في الدار وإن لم يكن هناك اتصال . ويدل عليه القرآن ((وإذا لقوا

الذين آمنوا قالوا آمنا)) فإن المراد حين المواجهة والتحدث ، وقوله تعالى : ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن .. فإن المراد اتفاقهم وتعاضدهم سواء كان مع ذلك مشافهة أم لا كما هو ظاهر) [26].

وفي الفرق بين (الإبْداع والاختراع والصّنْع ، والخَلْف والإيجاد والأحداث والفعل والتكوين والجعل) قال آخذاً عن الكليَّات : (ألفاظ متقاربة المعاني) أما (الإبداع) فهو اختراع الشيء دفعة (والاختراع) أحداث الشيء لا عن الشيء و (الصنع) إيجاد الصورة في المادة . و (الخلق) تقدير وإيجاد وقد يُقال للتقدير من غير إيجاد (والإيجاد) إعطاء الوجود مطلقاً (والإحداث) إيجاد الشيء من العدم و (الفعل) أعم من سائر اخوانه (والتكوين) ما يكون بتغيير وتدريج غالباً . و (الجعل) إذا تعدّى إلى مفعولين يكون بمعنى التحير وإذا تعدّى إلى مفعول واحد يكون بمعنى الخلق والإيجاد) [27].

وفي الفرق بين الآبد والآمد (قال : (الآبد) عبارة عن مُدَّة الزمان التي ليس لها نهاية ولت يتقيد ولا ينحصر (والآمد) مدة لها حدّ مجهول إذا أطلق وقد ينحصر فيقال آمد كذا فما يقال زمان كذا . قيل الآبد لا يثنى ولا يجمع والآباد مولَّد) [28].

وفي الفرق بين (الإسراف والتبذير) قال : (التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي و (الإسراف) تجاوز الحد في صرفِ المال ، و (التبذير) تلافه في غير موضعه فهو أعظم من الإسراف ولذا قال القرآن : ((إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين)) قيل وليس الإسراف متعلقاً بالمال فقط بل بكل شيء وضع في غير موضعه اللائق به) [29].

وفي الفرق بين (الإنزال والتنزيل) قال آخذاً من الآيمة : (الإنزال) دفعي . (والتنزيل) بتدريج . ويدل عليه القرآن : ((نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه)) ((وأنزل التوراة والإنجيل)) ، إذ خص القرآن بالتنزيل لنزوله منجماً ، والكتابين بالإنزال لنزولهما دفعة [30].

وهكذا نجد المستشرق (هنريكوس لامنس) قد حاول بكتابة (فرائد اللغة في الفروق) . أن يلتمس أدق الفرق الدلالية بين الكلمات ، وحسبي هذه دراسة نوعية بكم الكلمات التي التمس الفروق بينها في اللغة وفي الاستعمال القرآني مثلما ذكرنا في الأمثلة السابقة ، فهو قد اعتمد في تبيان هذه الفروق من العلماء والأيمة ومن كتب التفاسير أيضاً ، فهذه دراسة قد تكون من المعدومات عند العلماء المحدثين ، فلم نلحظ دراسة كهذه تتميز بالكم الهائل من الألفاظ وتبيان دلالتها ، فنجد من المحدثين (عائشة عبد الرحمن) قد أشارت إلى بعض من الألفاظ والتمست الفروق بينها ، وهكذا فعل فاضل السامرائي ؛ إذ أنهم لم يخصصوا دراسة مثل هذه البنية .

ومن الباحثين المستشرقين نجد أيضاً المستشرق (ألمان) في كتابه (دور الكلمة في الشعر) ، فقد تعرض لموضوع الترادف في اللغة الإنسانية عموماً ، ويبدو منه أنه ينكر الترادف بشكل عام لكل اللغات ، فقد عرّف الترادف بقوله : (والمترادفات هي ألفاظ متعددة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق) [31].

ثم بعد ذلك عرض للترادف من حيث هو ظاهرة موجودة في اللغات أم لا ، فقال : (والترادف التام – بالرغم من عدم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة ، فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر . فإذا ما وقع هذا الترادف التام ، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة ، حيث أن الغموض الذي يعتري المدلول ، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتفويض أركانه ، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فرق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة ، بحيث كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، كما أننا سنلاحظ في الوقت نفسه أن ما يرتبط بهذه الألفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وإيحائية خاصة سوف تأخذ في الظهور والنمو ممتدة في خطوط متباعدة ، وأردنا لنلمس نتائج هذا التفريق بين المترادفات فيما لو قابلنا كل لفظ بنظيره في المجموعة الآتية من الأمثلة (السيف – الحسام – الجلوس – القعود – حلف – أقسم – تلا – قرأ) بل أن هذه النتائج

لتظهر لنا بصورة أوضح وأجلى إذا ما أخذنا في الاعتبار سلسلة كاملة من الألفاظ المترادفة ، كتلك التي أوردناها فيما سبق على الشيء الصغير أو القليل (وبالجملة سوف يتبين لنا أنّ مُعظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد ، أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها كما سيتضح لنا أن مدلولات هذه المترادفات متشابكة ومتداخلة بعضها في بعض ، وفي نهاية المطاف سوف يتأكد لنا أن هذه الألفاظ لا يمكن التبادل بينها إلا في حدود ضيقة فقط) [32].

يَظهر من خلال هذا النص الكبير أنّ (ألمان) يقرّ بوجود الترادف أو التقارب ولكن ليس على وجه الترادف التام ، إذ هُناك فروق دلالية دقيقة للألفاظ لا يمكن أن تحل إحدى دون غيرها في السياقات أو الأساليب الواحدة دون تمييز بينها ، بل يمكن أن يكون بينها شبه ترادف أو نصف ترادف .

المستشرقون المؤيدون للترادف في العربية والقرآن الكريم :

وفي معرض البحث عن المستشرقين المؤيدين لوجود الترادف في القرآن الكريم اللغة العربية الفصحى ، نجد بعض الجهود عند المستشرقين ، بعضها مخصص لبيان هذه الظاهرة في العربية وبعض منها قد نجده في ثنايا مؤلفاتهم بإشارات عرضية ، ويمكن أن نذكر هذه الجهود بالآتي :

فقد يطالعنا المستشرق (بيلكين) في بحث له بعنوان (حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى) المنشور بمجلة المورد ، العدد 4/1 وقد ترجم جليل كمال الدين ...

ففي تحديد مفهوم الترادف يقول بيلكين : ((إن الترادف ظاهرة قديمة في اللغة العربية الفصحى فقد حدد معظم ممثلي علم اللغة العربية في القرون الوسطى الذين حلوا على نحو إيجابي مسألة وجود الترادف في اللغة العربية ، حددوا المرادفات بأنها كلمات مختلفة من حيث صوتها ولكنها متفقة تماماً فيما بينها من حيث المعنى ...)) [33].

ويضيف المؤلف مؤكداً قوله : ((إن وجود الكلمات ذات المعنى اللغوي المتماثل تماماً في اللغة العربية يُعد ثمرة الإبداع) واستخدام الكلمات المختلفة من حيث صوتها في لهجات القبائل العربية لغرض تحديد ذات الظواهر المشتركة في الحياة الواقعية) [34] ، فهو بهذا القول يؤكد مفهوم الترادف ويقرّ بوجوده ويعدّه صفة للإبداع في استعمال الكلمات المترادفة .

أما ما يخص وجود الترادف في القرآن فهو يشير إلى وجوده من خلال نص قوله : ((و واضح للعيان أنّه إلى اعداد أمثال هذه المترادفات تنتسب الأزواج التالية للمرادفات – للأفعال المطلقة المستعملة في القرآن (أقسم) و (حلف) و (بعث) و (أرسل) و (فضل) و (آثر))) .

ويضيف بقوله : ((ولم نعتبر مترادفة تلك الكلمات ذات الجذر الواحد والنسق المختلف في أصوات المد فيها ، رغم كونها مستعملة في معاني متماثلة مثل (كَتف و كِتف) ، وكذلك الكلمات التي يتغير فيها تركيب الحروف الصحيحة بنتيجة العملية الصوتية ، المسماة في المصطلح اللغوي العربي (بالإبدال) ، كما هي في الكلمتين (عنوان وعلوان) ، وفي بعض الأمثلة الأخرى أن وجود الحالات المماثلة لذلك يمكن تفسيره لاختلاف اللهجات العربية ، أما الكلمات ذاتها فقد اطلق عليها اصطلاح (اللغة) ، ولم يدرج بعض اللغويين في صف المرادفات ، كذلك الكلمات التي يتحصل فيها المعنى الجديد نتيجة الاستعارات اللغوية ، ولذلك ففي زوج الكلمات (جاسوس) و (عين) لم نعتبر الكلمة الثانية مرادفة للأولى ، لأن معناها متولد من المعنى الأول المنطلق من كلمة عين (عضو الرواية) .

وفي معرض حديثه عن موقف العلماء العرب واختلاف في موقفهم من الترادف بين منكرين ومؤيدين ، يخلص (بيليكين) إلى القول : ((إن ما تقدّم يثبت أن المتطلب الأساس الذي يتطلبه علم اللغة العربية التقليدي من الترادف هو التطابع التام في معاني الكلمات المدرجة في صف من المترادفات، وعدم وجود أيما ظلال في المعنى في الكلمات التي تفهم كمترادفات وليس ثمة أحد من الكتاب القدامى لم يتحدث عن إمكانية الترادف الايديوغرافي ، فأنهم أما أن يحاولوا اثبات وحدة معاني الكلمات التي يمكن أن تبرز فيها

ظلال المعاني ، وأما على الضد من ذلك ، يسعون لأن يبرزوا في هذه الكلمات المعنية كمرادفات ، ومع ذلك ، ففي مجال الترادف الايديوغرافي يمكن أن تنظر بعض ظواهر اشتقاق الكلمات العربية في حقل الفعل وفي حقل الاسم والصفة ، التي تعبر عن الأشكال التناسبية جذراً عن الظلال المختلفة في طابع حدوث الفعل) [35].

ويشير المؤلف إلى إمكانية عدّ الكلمات المشتقة في العربية سواء الإسمية والفعلية منها من ضمن تقاربات الترادف ، فيقول : ((إن نظام اشتقاق الكلمات العربية سواء منها الفعلية أو الاسمية ... يضم عدداً لا يستهان به للأشكال التناسبية الأكثر بساطة والأكثر تعقيداً ، المتماثلة في معناها (المحوري) مثلاً : (عجب) و (تعجب) و (وقف) و (توقف) و (انصت) و (انتصت) والفظ وتلفظ ... وعلى أي حال فإن ظلال تشديد المعنى التي يشير إليها اللغويون العرب لا تتحقق أو تجسد مظهرها دائماً ، كما نرى مثلاً عند استعمال التركيبات اللفظية والعبارات التالية : (بائع جوال) و (بائع متجول) وبائع وبياع ، وطفا وتطوف الخ . إن شطراً كبيراً من الاشتقاقات المماثلة يتفق مع المعيار الأساسي للترادف ، ولها بالذات نمط استعمال تركيبي مشترك وقابلية على التمازج ، وبهذا يمكن إحلال الواحدة منها محل الأخرى ، أعني يمكن استعمالها في قرينة واحدة دون تغيير معنى القول ، مثلاً : (اجتمع الناس و تجمع الناس) [36].

وفي موضع تشكيل المترادفات في اللغة العربية الفصحى ، يؤكد بيليكين أن من أسباب الترادف – فضلاً عن ما ذكره العلماء من قبل – هي :

1. (إن استيعاب اللغة العربية الفصحى لمفردات اللهجات القبلية يستمر في العصر الحاضر أيضاً ، وهكذا فإنه يزداد اختفاء (الصفات الإقليمية) للكلمات مثل كلمتي (عزفة) و (ساحة) المستعملتين في الأغلب في سوريا والعراق من جهة وما يقابلها من كلمات مثل كلمتي (حجرة) و (ميدان) المستعملتين في الجوهر في مصر ، من جهة أخرى ، وتثبت الملاحظة الدائية أنه في حالات كثيرة يتلاشى الطابع الإقليمي للكلمة ، وتصبح هذه الكلمات عامة شائعة في العربية)[37].
2. (إنّ التغييرات في معاني الكلمات تساعد في تشكيل صفوف من المترادفات لوحدات لغوية جديدة . إن المعنى الأولي للكلمة (منحة) هو الناقة أو النعجة التي تعطى لمن لا يعللها لغرض استعمال حليبها مؤقتاً ودون مقابل ... إنّ هذه اللفظة قد اكتسبت فيما بعد معنى أكبرَ بكثيرٍ فصارت (أي هبة ، هدية ، تقدمة) ، وأصبحت مرادفة لكلمة عطية ...) [38].
3. ومن الأسباب أيضاً التعبيرات المجازية فيقول : (ومما له أهمية في هذا الخصوص تحول الصفات إلى أسماء بواسطة التعبير المجازي الذي يفضل الاسم الذي كانت الصفة تصفه ، وذلك مثل كلمة (حسام) ومعناها سيف ، وأصلها (سيف حسام) [39].
4. وأيضاً من الأسباب هو الأسس الانشقاقية للألفاظ ، فقال : (وعلى أساس المرادفات ذات الأسس البسيطة المختلفة الجذور ، غالباً ما تشكل مرادفات ذات أسس اشتقاقية من قبيل (اشترى) – (ابتاع) (اقترف) و (امتص) [40].
5. ومن الأسباب هو الاستعارة (استعارة المفردات) من اللغات الأخرى ، فيقول : (إن دوراً محدداً في تكوين المترادفات تلعبه استعارة المفردات من اللغات الأخرى) وفي القاموس الأدبي المعاصر تستعمل على نحو واسع ، أزواج الكلمات المترادفة ، التي تكون إحداها عريقة ، أما الأخرى فحديثة مستعارة ، أي أن الأولى تكون هي الأصلية وذلك كما في الأمثلة الآتية : (سترة ، جاكيت) و (شرفة – شالكون) و (بهو – صالة) ... الخ) [41].

وفي موضع استعمال المرادفات في اللغة العربية الفصحى يشير هيليكين إلى أنواع المرادفات المستعملة في العربية وهي المرادفات المطلقة الثنائية والمرادفات المطلقة ، فقال : (إنّ القسم الأساسي والأهم بين المرادفات العربية تؤلفه المفردات المطلقة أو الثنائيات اللغوية وهي الكلمات التي لا تحتوي أيما فروق في معانيها ، وكالأفعال : قام ونهض ، وجاء وأتى ، والأسماء : خبر ونبأ ، وحائط وجدار ، وكلمة ولفظ ...) [42].

وأضاف أيضاً : (وبنظرنا إلى المرادفات المطلقة وإلى مرادفات مطلقة كثيرة سواها من وجهة نظر وظيفتها في اللغة ، فأن علينا أن نلاحظ تكرار استعمالها غير المتماثل ، فإن أفعال و(عاد وجاء ودخل) أكثر استعمالاً من مرادفاتها الكاملة (رجع وأتى ولج ...) [43].

وفي الختام يخلص بيليكين بذكر أهمية الترادف بقوله : (وإنه الواضح تماماً أنّ الترادف الترقي اللغة والخيار الواعي للوسائل الكلمية إنما يساعد في التعبير عن أدق ظلال الفكر ، ويجعل اللغة أكثر تعبيراً ومرونة طالما ليس في كل قرينة يمكن أن تستعمل دونما أي تفريق ، كلمات من مجموعة (بيت ، دار ، منزل ، مسكن) [44].

من ذلك نخلص أن المستشرق بيلكين من المؤيدين لوجودِ الترادفِ في اللغة العربية بشكل عام وفي القرآن الكريم بشكل خاص ، عمد إلى تجديد تعريفه وتثبيت مواقف العلماء منه ، ثم جدد أسبابه واستعمالاته وأيضاً أهميته ، ذكرنا نص أقواله فيما سبق) .

وفي دراسة أخرى للمستشرق (فانسان مونتي) بعنوان (اللغة العربية الحديثة) بحث منشور بمجلة اللسان العربي ، العدد 1 ، 1964م ، تعرض المؤلف – في سياق حديثه عن المشاكل القائمة في وجه التعريف _لظاهرة الترادف في اللغة العربية_ معداً ظاهرة الترادف مشكلة وعائقاً أمام التعريف فقال من مشاكل التعريب ما يأتي :

1. (عدم الاتفاق بين البلاد العربية حول مدلول المفردات (الدستور) مثلاً هو ذلك في مصر وسوريا ولكن في العراق قال له القانون الأساسي [45].
2. هنا صرح المؤلف بتحديد مشكلة الترادف وبيّن أنه من مشاكل التعريب وقال : (كان المظنون قديماً أن العربية غنية جداً من حيث المترادفات ولكن ظهر اليوم أن هذه الثروة عائق كبير حيث إننا نجد لبضع كلمات مئات المترادفات ومئات الكلمات الحديثة ليس لها مقابل بالمرة أو حوله خلاف . وأن بعض المدلولات الأخرى تترجم اعتباطاً حسب هوى الأفراد وكلمة الحدس مثلاً منهم من يقترح : البداهة والاكتناه والاستبصار) وكلمة (accumulateur) تترجم بما يأتي : جامعة ومجمعة وجماعة ، ومجموعة ومدخرة وكذلك كلمة (interet) اهتمام ومناع وعناية واكتراث واقبال . كثرة المترادفات عائق كبير في العلوم : (الذرة في مصر والجوهر الفرد في سوريا)[46].

فنخلص من ذلك أنّ المستشرق فانسان مونتي يعترف بوجود الترادف بطريقة غير مباشرة ، لذا يعدّها عاملاً من العوامل التي تعيق عمل الترجمة ؛ لأنّ تعدد الألفاظ يجعل المترجمين يتعاملون بفوضى واضطراب في استعمال الألفاظ المرادفة ومن غير دلالة دقيقة ، فقال ترجمة اعتباطية حسب هوى الأفراد ...

ومن المستشرقين أيضاً المستشرق (دي بور) فقد أشار في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام) – في معرض حديثه عن الفلسفة والعلوم العربية إلى ظاهرة الترادف بشكل سريع فذكر أنها صفة تميّزت بها العربية ؛ وكان للعرب شغفا بها ، وأنها خاصية عظيمة الفائدة فقال : (كان بالعرب شغف خاص بلغتهم ، وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في المفردات ووفرة في صور التعبير ، وبما في طبيعتها من قبول للاشتقاق خليقة أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم ، ولو قارناها باللغة اللاتينية في ثقلها وقلة مرونتها ، أو باللغة الفارسية ، في فرط أسبابها ، لوجدناها تمتاز عليها بما فيها من صور لفظية قصيرة تدل على المعاني المجردة ، وهذه خاصية عظيمة النفع في ممارسة العلوم ، فنحن نستطيع أن نعبر بهذه اللغة العربية عن أدق الفروق بين المعاني ، غير أن كثرة المترادفات فيها تنحرف بالإنسان عن القاعدة التي وضعها أرسطو والتي تقضي بأن استعمال الألفاظ المترادفة غير جائز في العلوم المضبوطة التي تُحدَّد فيها المعاني تحديداً دقيقاً) [47].

ففي هذا النص إشارة صريحة إلى الإقرار بوجود الترادف ، وذلك حينما أشار إلى أنها خاصية عظيمة النفع في ممارسة العلوم ، ونستطيع أن نُعبِّر باللغة العربية عن أدق الفروق بين المعاني ، وأيضاً أنها

صورة لفظية قصيرة تدل على المعاني المجردة ، ففي العبارة الأخيرة هو تحديد لمفهوم الترادف العام أنه تتعدد الألفاظ والمعنى واحد .

وهناك في كتاب المستشرق (جولد سهير) مذاهب التفسير الإسلامي ، بعض الإشارات إلى موضوع الترادف ، ولكن يلحظ فيها بعض التعارض في الرأي ، فقد أشارَ في موضع معين أن القرآن يترفع عن بعض من ظواهر البلاغة بالنظر إلى الترادفات ، فقال في نصه : ((إنّ قيمة القرآن تزداد علواً بقلة التأثر بقوانين البلاغة في النظر إلى المترادفات وذلك في مثل قوله . تعالى : ((إن الله لرؤوف رحيم)) ، فإن المفترض في حالة استعمال لفظين دالين على معنيين شديدي التقارب أن يصور ترتيبها ترقياً في المعنى الذي يدلان عليه . بأن يدل اللفظ الواقع في المكان التالي على معنى أسمى من المعنى الأول ، ويسمي البلاغيون هذه القاعدة بالتَرقي من الأدنى إلى الأعلى ..)) [48].

وأضاف أيضاً : ((ويبدو أنّ الآية (143 من سورة البقرة) لم تتبع القاعدة المذكورة ، فإن لفظ (رؤوف يدل على معنى شدة الرحمة ، فهو أقوى في هذا المدلول من لفظ رحيم التالي له ، وفي التفسير الشعبي للجلالين لهذا الخروج على القاعدة البلاغية ، بأنه قدم الأبلغ للفاصلة ، أي الرعاية فاصلة السجع، وهي وجهة من النظر تعد ذات حق كامل من الصواب من التفسير المألوف للقرآن ، ولكن محمد عبده ... يقول : (إنّ كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها اللائق بها ، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة)) [49].

فنفهم من نص قول جولد سهير في النصين أعلاه إقرار بعدم وجود الترادف في القرآن ، وأنّ كل كلمة في القرآن لها معنى خاص بها وهذه الظاهرة يترفع عنها ويتقوم بها ويزداد علواً .

ولكن في موضع حديثه (جولد سهير) عن القراءات القرآنية في القرآن الكريم ، نجده يوجه اختلاف القراءات إلى وجود الترادف فيها ، بل ويشير إلى أن اختلاف القراءات بالترادف هو أهون من غيره من اختلاف القراءات الأخرى ، فقال : (ويقدم نوعاً من اختلاف القراءات أهون مما سبق ، ذلك الاختلاف في النصوص التي يبدو في كل منها مرادف آخر يؤدي نفس المعنى ، كما إذ أثر أبو السرار الغنوي مثلاً أن يقرأ في الآية 48 من سورة البقرة بدلاً من (نفس عن نفس) مرادفة : (نسمة عن نسمة) ومثل هذه الاختلافات في النص كان يحكم عليه قديماً بروح واسعة الحرية ؛ لأنّه إذا كان المعنى لن يناله تغيير ، بل يزداد وضوحاً في بعض الأحيان ، فمن الجائز أن تستبدل بكل طمأنينة من كلمة غامضة أخرى أوضح منها) [50].

وأضاف في سياق حديثه نفسه بقوله : ((وفي النهي عن الوزن الخاسر (آية 9 من سورة الرحمن) ورد : ((فأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)) ، فقرأ بعضهم (وقد ذكر ابن مسعود أيضاً سنداً لهذه القراءة) ((وأقيموا الوزن باللسان)) بدلاً من ((بالقسط)) وذلك اللفظ الأخير وإن كان غيرُ غامض أصلاً ، فإن إقامة لسان الميزان تقدم الدليل على أنّ الوزن لم ينقص) [51].

ففي النص هذا نجد إن جولد سهير يوجه القراءة الحاصلة في هذه الآية ، أنها على أساس مبدأ الترادف قد استبدل لفظ (بالقسط) بلفظ آخر هو (باللسان) ، ويؤكد أيضاً أنه على الرغم من أنّ لفظة القسط غير غامضة لكنه تم استبدالها وأيضاً أن لفظة (اللسان) تعطي المعنى نفسه في (بالقسط) على أنّ الوزن لم ينقص .

فنستطيع من خلال المواقف التي ذكرناها أنْ جولد سهير يقر بوجود (الترادف) كظاهرة مسموح بها في القرآن والقراءات ، لذا يوجه القراءات فيه ، وهذا ما يتعارض مع ما ذكرناه من قبل أنّه ينكرُ وجود الترادف .

موقف المستشرقين من الأضداد أو التضاد :

توطئة :

التضاد عن المحدثين يطلق على اختلاف اللفظين شكلاً ومضموناً ، كما في (الطويل والقصير والقوي والضعيف والجميل في مقابل القبيح) [52] الأمر الذي سمّاه البلاغيون الطباق الآن الطباق عندهم: الجمع بين الشيئين المتضادين وهو نفسه التضاد عند بعضهم [53].

أما القدماء فهم على خلاف من ذلك فقد ذهبوا إلى أنّ التضاد لونٌ من المشترك اللفظي ، وعرفوه بأنه : (كلمة واحدة ذات معنيين متضادين لكلمة (المولى) التي مدلولها (العبد والسيد) [54]، قال ابن فارس من حسن العرب في الأسماء أن يُسموا المتضادين اسم واحد ، سموا (الجون للأسود) و (الجون للأبيض) [55].

والتضاد بهذه الدلالة كان موضعُ خلاف بين القدماء فمنهم المقرّ به والمنكر به ، وممن أقر به الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وأبو عمر الشيباني ، وقطرب وأبو عبيدة ، والأخفش الأوسط ، وآخرون ...[56].

هذا مفهوم وموقف العرب منه قديماً وحديثاً ، وفي هذا الموضع سلط الضوء على موقف المستشرقين من التضاد والأضداد .

موقف المستشرقين من التضاد :

تباينت مواقف المستشرقين للتضاد ، فقد درس بعضهم ظاهرة (التضاد) في اللغة العربية بشكل عام ، ودرسها آخرون في القرآن الكريم ، وسنذكر جهودهم كل على حدة ، وكالآتي :

أولاً : موقفهم من التضاد في العربية :

للمستشرقين مواقف مختلفة من وجود التضاد في العربية بين رافض ومؤيد لهذه الظاهرة ، ولكن ، كما يبدو من دراساتهم ، أنّ أغلبهم يكادوا أن يذهبوا إلى رفض وجود هذه الظاهرة أو تحجيم وجودها والتقليل منه ...

فيطالعنا موقف للمستشرق (Giese) ، والذي يشير إليه كثير من الباحثين ، فيذكر الباحث (محمد حسين آل ياسين) في كتابه الأضداد في اللغة – موقفاً لهذا المستشرق أنّه درس الشعر الجاهلي دراسة معمقة مستعيناً بنتائج علم تطور المعاني ، فوضع قواعد معينة طبقها على الأضداد فخرج منها[57] بقوله : (لا يوجد في الشعر القديم غير اثنين وعشرين ضداً فقط) [58].

وذكر الباحث (محمد حسين آل ياسين) القواعد التي طبقها على الأضداد ، وهي :

1. الاستعارة : ومثل لها بمادة (ناء) التي تأتي بمعنى نهض مثقلاً بالحمل ، كما تأتي أيضاً بمعنى بعد به ، و (ناهل) التي تأتي للعطشان والريان .
2. تصاحب المعاني المتضادة بالذهن ، وقد مثل لها بمادة (بَيْن) التي تفيد الفراق ، كما تفيد الوصال وفقاً لحالة الشخص الذي يكون أما مفترقاً وحده عن جماعته أو متصلاً بجماعة أخرى .
3. المشتق من الأسماء واختلاف صيغ الأفعال ومثل لها ب(فَعَل) و (أفْعل) ، وقال أنّ معناها في الأصل إحداث الحدث بالشيء المراد ، لذلك يمكن استعمالها في الايجاب والسلب ، نحو (فرَّع) التي تأتي بمعنى صعد كما تأتي بمعنى انحدر .

4. تداخل الأحداث وغموض الانفعالات واختلافها من شخص إلى آخر ، مثل مادة (طرب) التي تأتي بمعنى فرح وحزن ، وغيرها من القواعد الأخرى التي حاول (جيز) أن يثبت أصالة الضدية فيها [59].

فيظهر من خلال موقف المستشرق (Giese) أنه يقرّ بوجود التضاد في العربية ، فذكر قواعد تكوينه ، كما أنه أحصى المتضادات في الشعر الجاهلي القديم ووجودها لا تتعدى الاثنين والعشرين فقط.

وفي موقف متصل بالمستشرق (جيز) يذكر (محمد حسين آل ياسين) تعليق المستشرق الآخر (هرشفلد) على قول (جيز) فقال : (إنّ هذا العدد يمكن أن تقلل منه لو ازدادت معرفتنا بالمعاني الأصلية لهذه الألفاظ) [60].

وأيضاً ذكر موقفاً آخر للمستشرق (فايل) بأنّه استدرك على (جيز) تفسير الأضداد وأرجعها إلى اختلاف اللهجات مثل السدفة ووثب وسامر وقرء وغيرها ، وأيضاً ذهب فايل إلى أن تغيير المعنى الأصلي للكلمة قد يكون بسبب تباين وجهات النظر إلى الحياة والكون لا في اللغة العربية وحدها ولكن في اللغات السامية كلها [61].

ويذكر (محمد حسين آل ياسين) موقفاً آخر للمستشرق (Redslop) بأنه أعمق المستشرقين نظراً إلى الأضداد وأشملهم تفسيراً وتصنيفاً لها بعد أن أدرك (أنّ العرب توسعوا كثيراً في فهم كلمة الأضداد ، فجمعوا في شيء كثيراً من التصنع والتكلف) [62]، فهو يرى – كما يذكر آل ياسين – ما يأتي في خصوص التضاد في العربية :

1. إنّ مُعظم الأضداد كانت معروفة عند العرب أو شائعة بينهم بمعنى واحد فقط ، أما المعنى المخالف فلم يرد إلا في روايات نادرة وربما كانت في موضع شك ولو كان الأمر كذلك لكثر الالتباس في محاورات النّاس .
2. أنه يجب أن يُلاحظ الضد في المعنى اللغوي الذي تدل عليه الكلمة وهي مفردة ، ومن الخطأ أن نلاحظ المعاني التي تدل عليها الكلمة في التراكيب المختلفة ويحكم عليها بالضد تبعاً لذلك ، مثل : (لم أضرب عبد الله ولم يضربني زيد) ، وأشباه ذلك ؛ لأنّ السياق قد يكسب اللفظة معنى جديداً يُخرجها إلى التضاد .
3. أن تخرج من الأضداد الحروف (أن) و (من) و (أو) و (ما) و (هل) وغيرها ، إذ لا قيمة للاستدلال بأن (أن) معناها إذا الشرطية وما النافية أو الامكان والنفي بعبارة أخرى . وإن تخرج كذلك بعض الصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد إذا دلت صيغة منها على زمانين مختلفين مثل : (كان) و (يكون) اللتين تدل كل منهما على زمانين ، وأن تخرج أسماء الأعلام مثل (إسحاق) و (يعقوب) و (أيوب) التي اعتبرت من الأضداد لوجود أفعال ثانوية أخرى .
4. أن تخرج من الأضداد الألفاظ التي تشترك فيها الحالية والمحلية مثل (كأس) التي تدل على الإناء وعلى ما يملؤه ، وتخرج تلك الصيغ التي تدل على وزن فاعل وتدل أحياناً على المفعول وفعيل التي تفيد معنى فاعل ، وصيغ المبالغة التي تتصرف للفاعل والمفعول ، والأفعال التي تشعر صيغتها المجردة بمعنى من معاني التعدية مثل (زال) ، ويخرج الضمير (نحن) الذي يستعمل للمفرد والجمع ، فجميع هذه الأنواع ليست من الأضداد .
5. أن تخرج جميع الألفاظ التي استعملت للتهكم والاستهزاء مثل (يا عاقل) للمجنون ، والتي استعملت للتفاؤل مثل (يا سالم) للمريض من الأضداد ؛ لأنّ استعمال هاتين الاستعارتين موقوف على اختيار المتكلم .
6. أن تخرج الألفاظ التي يظهر التعسف والافتعال على أشدها في إدخالها في الأضداد ، مثل (التلعة) التي معناها المسيل من الماء والمرتفع من الأرض ؛ لأنّ الماء يهبط والأرض ترتفع[63].

ويذكر (محمد آل ياسين) موقفاً آخر للمشرق فايل في سياق تقليل التضاد ، فيقول : (ولا يؤخذ الآن بالرأي الذي كان سائداً منذ عهد بعيد والذي يقول إنّ اللغة العربية بخلاف اللغات السامية الأخرى ، تشمل

عدداً عظيماً من الأضداد ، ذلك لأننا استبعدنا جميع الكلمات التي ليست بأضداد حقيقية أو الموضوعة في غير مواضعها ، وهي كثيرة من غير شك ، لا يبقى من الأضداد في اللغة العربية إلا القليل ، وهذا ما دعا ابن درستويه الذي نقل عنه السيوطي إلى إنكار وجود الأضداد إنكاراً تاماً) [64].

ثانياً : موقفهم من التضاد في القرآن الكريم :

وفي موقف المستشرقين وجهودهم في الاضداد في القرآن الكريم يطالعنا بحث للمستشرق (بلاشير) بعنوان (أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية) ، المنشور بمجلة اللسان العربي ، وقد تحدث بلا شير عن ظاهرة الأضداد في القرآن الكريم بعد أن استعرض هذه الظاهرة عند اللغويين العرب ، وفي القرآن الكريم أيضاً ، وبعد أن ذكر بعض الأمثلة عن واقع الأضداد في القرآن الكريم قال : ((والواقع أن هذه الألفاظ - الأضداد الواردة في القرآن الكريم ، تعتبر في مجموعها بسيطة جداً ، لكن التفسير ألح عليها وأظهرها لكي يجعلها تعبر عن أمر ذي علاقة بها ، وليس عن حقيقته الحية في اللغة ، لأن الذي كان يهمه هو تعضيد هذا الغرض أو ذاك ، فكثيراً ما تلتقي في التفسير بآية قرآنية مفسرة بمعنى ، ثم في موضع آخر معارض له تماماً ، ومن الغريب أنّ كلا التفسيرين يجري تحت سلطة طائفة واحدة ، وكان من يحاول ابطال تفسير من هذا النوع ، تعرض لاتهامه بالبدعة ، ومخالفة أهل السنة ، وربما عرض خيانة نفسها للخطر) [65].

فيرى بلاشير أن الأضداد في القرآن الكريم قليلة وبسيطة جداً وتكاد غير موجودة ولكن التفسير القرآن هو من ألح عليها وأظهرها ليجعلها تعبر عن معنى قريب منها ، ولذلك في تفسير كثير من الآيات القرآنية مفسرة بمعنى معين في موضع معين ، ثم في موضع آخر مفسرة بمعنى آخر عند نفس الطائفة ، فالأضداد برأيه قليل وبسيط في القرآن الكريم ، ولكن عند المفسرين موجود ، وهذا لا يعني أن المستشرق يقر بوجود الأضداد في القرآن نفسه لأن المفسر ليس هو القرآن نفسه .

وقد عمد بلاشير في هذا البحث أن يعرض لبعض من الأمثلة من القرآن الكريم ليبين من خلالها مواقف المفسرين وتوجيهاتهم لحال التضاد فيها ، مثلاً كلمة (أسرّ) في قوله تعالى : ((واسروا الندامة لما رأوا العذاب) [يونس : 54] ، فذكر بلاشير في تفسير هذه الآية : (فالمشركون أو الذين ظلموا يتقبلون العذاب الذي يستحقونه في يوم الحساب ، وعندئذ تقول الآية : ((واسروا الندامة)) ، أسر يعني: أخفى في أعماق قليلة أو كتم ، وهذا في الواقع هو المعنى الذي ندركه لأول وهلة ، وهو المعنى الذي فسره الطبري دون أن يقف عنده طويلاً ، لكن لدى المفسرين الآخرين يتحول من ((أخفوا الندم في نفوسهم)) إلى أظهروا الأسف والتوبة ، وهذا منطقي ؛ لأنّ هؤلاء المشركين المحكوم عليهم بالعذاب يتأسفون بصورة طبيعية في تلك اللحظة الهائلة من أنهم لم يُسْلموا أو يؤمنوا ، في الوقت الذي لم يشير الطبري بكلمة واحدة إلى هذا الموضوع ، نجد فخر الدين الرازي ... يقدم لنا شروحاً مفصلة حول مفهوم (الضد) ويؤكد أنّ فعل (أسروا) في الآية يدل على معنى (أظهروا وأعلنوا) بصورة طبيعية ، وأنه يحمل أيضاً في المقابل معنى (أخفوا وكتموا) [66].

وأشار (بلاشير) أيضاً إلى أمثلة أخرى في قوله : (فكذلك التقينا خلال استقراءنا بفقرة هامة جداً ، حيث لم يأخذ فجعل (خاف) معنى (خشى) وإنما معنى (تأكد منه) ، كذلك فيما يتعلق بالآية القرآنية التي تتحدث عن النساء – الآية رقم 34 ، فعلى الرغم من أن الآية تحتوي على فعل (خاف) الذي يعني بكل بداهةج (خشى) – نجد أنه ربما لأسباب فقهية حيث يحتاج كل حكم إلى دليل في الخلاف المشار ، يأخذ معنى (تأكد منه) ، وبذلك لا يكفي الزوج أن يخاف ، وإنما يصبح متأكداً ...)[67].

كما ذكر مثالاً أخيراً من نفس النوع ، وهو الخاص بالفعل ظنّ ، فقال (قضي المفهوم) العادي يأخذ الفعل معنى (التفكير يتردد بين أمرين ، ولكن المفسرين يعطونه في آيات أخرى من القرآن معنى (لديه يقين) منتزعين منه أي إمكانية في التردد بين أمرين) [68].

فهذه أمثلة تَعَرّض لها (بلاشير) ليُبين موقف المفسرين منها ، وتوجيههم لها بمعاني مضادة لما فسروها في موضع آخر للفظة نفسها ، فهو يعد المفسرين هم من تسببوا في الأضداد في القرآن وليس القرآن نفسه يحمل هذه الصفة) وفضلا عن ذلك فقد أشار أيضاً إلى عامل آخر من العوامل التي أوجدت الأضداد في اللغة العربية وهو عامل (البدو) ، فقال بنصه : (يبدو ممكناً أن نضع كفرض من بين الدوافع التي أدت إلى مبحث الأضداد : أنّ جزءاً كبيراً منه يرجع إلى اهتمامات خاصة بتفسير القرآن ... ومن ناحية أخرى ، فإذا توجهنا إلى دراسة الأضداد ، فلابد أنْ نضع بجانب المصدر القرآني المصدر البدوي الذي خرجت منه كثير من الألفاظ المتضادة الخاصة بحياة الصحراء وهيأتها وحيواناتها) [69].

وذكر بلاشير مثالاً لذلك ، وقال : ((وعلى سبيل المثال ، يتمثل النموذج الكامل من الأضداد في لفظة (جون) التي تدل على الأبيض والأسود ففي اللغة الحية نفسها يدل الجون على شيء معتم أو مظلم (ينزع نحو الحمرة) أو كما تقول العبارة العربية الجديدة (فشرب بحمرة) ، لكن هناك بيتاً للفرزدق يصف فيه قصراً فيقول (وجون عليه جص) أي : شيء أسود مطلي بجص : وقال النحويون : إنّ النّاس ليعتقدون أنّ هذا يدل على الأبيض ، لكنهم لم يفهموا أنّ هذه هي الحالة (الأشد تطابقاً) على مفهوم التضاد) [70].

وفضلاً عن ذلك يذكر بلاشير دوافع أخرى لنشوء الأضداد ، وهي : حب الاطلاع عند اللغويين وأيضاً ضرورة الرد على افتراءات الشعوبيين ، فذكر ذلك بعرض حدّين عن دوافع نشوء الأضداد ، وقبل أن يذكر العوامل أشار بلاشير إلى العلماء الذين اهتموا بالأضداد ، فقال : (وهكذا فقد أظهرت دراسة تتابع المؤلفين في مبحث الأضداد : ضرورة التفرقة بعناية بالغة بين جيلين مختلفين : الأول هو جيل الأصمعي والأنصاري وقطرب ، جيل يعمل على مواد لغوية خام ، يلتقطها ويدرسها ، والثاني جيل يبدأ بالأنباري ، وخاصة ابن درستويه ، ولا يعالج سوى مادة معدة سلفاً ، فيما يتعلق بابن السكيت ، لا يبدو الأمر هكذا تماماً ، فلدي شعور بأنه كان أصلاً في مجالات أخرى ، لكن العناصر المحددة تعوزني ..)[71].

وبعد هذا أشار إلى العوامل وراء نشوء الأضداد ، فقال : (تبقى المشكلة الأساسية وهي الدافع الذي أدى بهؤلاء العلماء والمعجميين العرب إلى ارتياد مجال الأضداد ...) [72].

ويبدو لبلاشير أن من العوامل أيضاً الفضول العلمي عند المعجميين ، أو حب الاطلاع ، وأيضاً الرد على افتراءات الشعوبيين ، فالعامل الأول ، قال فيه : (فقد كان الفضول العلمي) أو (حب الاطلاع) إحدى المميزات التي طبعت ذلك الجيل الرائد ، وبخاصة الأصمعي والأنصاري ، فقد كان هؤلاء العلماء ذوي اهتمامات متنوعة جداً ، واستطاعوا أنْ يقتحموا هذا المجال كما اقتحموا مجالات أخرى غيره لمجرد الرغبة في الاطلاع ...) [73].

(والدافع الآخر في رأي بلاشير هو الرد على الشعوبيين الذين كانوا يرون أن الأضداد أو الألفاظ المتعارضة بمعناها في العربية هو إشارة في الضعف فيها ، فما كان للمدافعين عن العربية إلا أنْ يهتموا بالأضداد ليجعلوه دليلاً لصالح قوة العربية) فقال بلاشير : (فرض آخر أكثر أهمية ، وهو يرد عرض بمناسبة عبارة جاءت في مقدمة الأنباري عن الأضداد ، حيث يذكر أنّ تلك الألفاظ ذات الدلالات المختلفة أو المتعارضة ، تعتبر بالنسبة إلى بعض الناس دالة على (النقص) أي الضعف أو الخطأ في اللغة العربية التي تعد حينئذ غير قادرة على التعبير بشكل واضح ومحدد عما يراد منها ، فَمَن هم هؤلاء؟

(البعض) الذين يتهمون العربية على هذا النوع يصفهم الأنباري بأنهم (أهل البدعة) وكذلك (أهل الجور) و (الضلالة) و (الاستهزاء) أي السخرية ... أولئك كان من شأنهم أن يسخروا من العرب ، وابتداءً من هذه العبارة ، يمكن التساؤل عما إذا كانت بداية الأضداد قد جاءت نتيجة اهتمامات مختلفة ، وذلك فيما يتعلق بموجة (الشعوبية) التي كان هدفها إظهار نقص لغة الفاتحين والحكام ، إن بقية عبارة الأنباري تبين كيف أمكن لهذا الدليل الموجه إلى اللغة العربية أن يتحول على أيدي المدافعين عنها إلى دليل في صالحها . فليس وجود الأضداد بحال ما من عوامل الغموض ، كما يدعي المفترون، وإنما هو أحد عوامل الغنى: إنه إحدى فوائد اللغة العربية لأن اللفظ إذا كان له معنيان متضادان عموماً ، فهو في

نص واحد بعينه ، لا يدل إلّا على معنى واحد فقط منهما . وبذلك فلا مجال لأي غموض في التعبير عن الأفكار) [74].

فنخلص من موقف بلاشير عموماً أنه يهدف من دراسته تثبيت حال الأضداد في العربية ، ويبدو منه أنه يميل نحو نكران هذه الظاهرة في اللغة العربية عموماً وفي القرآن خصوصاً ، لذا وجهها في دوافع أخرى تكاد تكون غير لغوية ، ففي القرآن يرى أن الأضداد ومن ابتكار المفسرين وفي اللغة العربية يرى أن حب الاطلاع والرد على الشعوبية ، وأيضاً عامل البدو ..

وأيضاً من مواقف المستشرقين نجد المستشرق (مونان مونتي) قد أشار إلى الأضداد في بحثه (اللغة العربية الحديثة) إلى الأضداد في العربية ، في معرض حديثه على مشاكل التعريف ، فقال : (مشكلات الاسم المشترك (كلمة خال تترجم ب27 ترجمة مختلفة) وكانت العرب تعرف هذه الحالة واسمها بـ(الأضداد) ، ومثال ذلك (المولى) بمعنى السيد ، والعبد في نفس الوقت ، ولا شك أن هذه الظاهرة عقبة في وضوح وجلاء اللغة) .

فنلحظ أن (موتان مونتي) يقرُ بوجود هذه الظاهرة في اللغة العربية ، ويعدها مشكلة من مشاكل التعريب أيضاً .

الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج منها :

1. إنَّ جهود المستشرقين في هذا الباب قليلة جداً قياساً باهتماماتهم في الأبواب والموضوعات الأخرى في اللغة العربية ، فيبدو أنهم يهتمون بالموضوعات التي يجدون فيها ثغرة للطعن والتشكيك والإشكال ، فهم لم يجدوا في هذه الظواهر منفذاً للطعن ، فلم يتطرق لها كموضوعات رئيسة مسجلة لهم في جهودهم ، إلا في بعض الجهود والبحوث والاشارات عند الباحثين غير البارزين في الدرس الاستشراقي .
2. من الجهود الخاصة والمهمة جداً فيما يتعلق في موقفهم من الظواهر الدلالية يطالعنا بحث أو درس مهم جداً ، وهو عمل كبير قياساً بجهود العلماء العرب وهو مؤلف الأب هنريكوس لامنس في كتابه فرائد اللغة في الفروق .
3. في الجهود التي ذكرناها تتباين مواقفهم أيضاً بين مؤيد ورافض لهذه الظواهر ، مثلما هو موقف العلماء العرب قديماً وحديثاً .
4. دراساتهم لهذه الظواهر – من خلال الجهود التي ذكرناها – دراسة متعمقة وليست سطحية ، دراسات علمية خاتمة على أساليب البحث العلمي ، وتعبر عن دراسة واعية واطلاع واسع على الموروث العربي وعلوم اللغة جميعها لاسيما ما يتعلق في الدراسات القرآنية .
5. وجدنا تعارضاً في موقف جولد سهير من الترادف في القرآن ، فتارة يقر بوجوده ، وتارة أخرى ينكره ، من خلال المواقف التي أشرنا لها في الدرس .

الهوامش :

(1) يُنظر : لسان العرب : 7/9 .
(2) يُنظر : التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني : رسالة ماجستير : عفراء رفيق منصور : 8 .
(3) اللغة والتطور : عبد الرحمن أيوب : 37 ، 39 .
(4) يُنظر : التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني : المقدمة .
(5) أسس علم اللغة : ماريو باي : د . أحمد مختار عمر : 156 .
(6) نقلاً عن كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي التهاوندي .
(7) العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب : يوهان فك : 16-17 .

(8) دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي : د . عبد الرحمن بدوي .
(9) المصدر نفسه : 43 .
(10) من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم : تيودور نولدكه : نقلاً عن : دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي : عبد الرحمن بدوي : 32 .
(11) الإسلام الأسس : كولين تيرنر : 95-96 .
(12) القُرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمة وتأثيره : بلاشير : 103 .
(13) المصدر نفسه : 104 .
(14) يُنظر : معجم الوسيط : مجمع اللغة العربية : ردف .
(15) يُنظر : الكتاب : سيبويه : غ عبد السلام هارون : 24/1 ، وينظر : مجمع اللغة العربية : 241/4 .
(16) يُنظر :
(17) يُنظر : فصول في فقه اللغة : رمضان عبد التواب : 309 .
(18) يُنظر : الترادف في القرآن الكريم : سميرة علي أحمد شهوب ، رسالة ماجستير : 17 ، 44 .
(19) يُنظر : المصدر نفسه : 52 .
(20) يُنظر : الترادف في القرآن الكريم : 52 .
(21) يُنظر : نفي الترادف في التفسير البياني عند فاضل صالح السامرائي : شادلي سميرة ، بحث منشورة بمجلة حوليات كلية الآداب واللغات الجامعة : 7
(22) فرائد اللغة في الفروق : لامنس : المقدمة .
(23) المصدر نفسه : المقدمة .
(24) فرائد اللغة في الفروق : 1 .
(25) فرائد اللغة في الفروق : 1 .
(26) المصدر نفسه : 5 .
(27) فرائد اللغة في الفروق : 3 .
(28) المصدر نفسه : 2-3 .
(29) المصدر نفسه : 12 .
(30) المصدر نفسه : 22 .
(31) دور الكلمة في اللغة : ستيفن ألمان : 97 .
(32) دور الكلمة في اللغة : ستيفن ألمان : 97-98 .
(33) حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى : بيلكين :
(34) حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى : بيليكين : 59 .
(35) المصدر نفسه : 61 .
(36) حول طابع الكلمات المترادفة : 61-62 .
(37) حول طابع الكلمات المترادفة : 62 .
(38) المصدر نفسه : 62 .
(39) المصدر نفسه : 62 .
(40) المصدر نفسه : 63 .
(41) المصدر نفسه : 63 .
(42) المصدر نفسه : 63 .
(43) المصدر نفسه : 63 .
(44) المصدر نفسه : 64 .
(45) اللغة العربية الحديثة : فانسان مونتي : 84 .
(46) اللغة العربية الحديثة : 84 .
(47) تاريخ الفلسفة في الإسلام : دي بور : 36-37 .
(48) مذاهب التفسير الإسلامي : جولد سهير : 373 .
(49) المصدر نفسه : 373-374 .
(50) مذاهب التفسير الإسلامي : 26-27 .
(51) مذاهب التفسير الإسلامي : 27 .
(52) يُنظر : علم الدلالة : أحمد مختار عمر : 191 .
(53) بين مفهوم التضاد والطباق عند اللغويين والبلاغيين : د نجاتي عمر : 23 .
(54) يُنظر : المصدر نفسه : 23 .

(55) مقدمة لدراسات اللغة ، دار المعرفة ، الإسكندرية : 171 .
(56)
(57) ينُظر : الأضداد في اللغة : محمد حسين ال ياسين : 260 .
(58)
(59) ينُظر : الأضداد في اللغة : 260-268 .
(60) الأضداد في اللغة : 268 .
(61) ينُظر : المصدر نفسه : 268 .
(62) المصدر نفسه : 268 .
(63) ينُظر : الأضداد في اللغة : 268-271 .
(64) المصدر نفسه : 273 ، نقلاً عن : دائرة المعارف الإسلامية .
(65) أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية : بلاشير ، تح : حامد طاهر ، مجلة اللسان العربي ، مجلد 15 ، 14/1 .
(66) ينُظر : الأضداد في اللغة العربية : 113 .
(67) المصدر نفسه : 114 .
(68) المصدر نفسه : 114 .
(69) أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية : 115 .
(70) أصل الأضداد في اللغة العربية : 115 ظ
(71) المصدر نفسه : 113 .
(72) المصدر نفسه : 113 .
(73) أصل الأضداد في اللغة العربية : 113 .
(74) أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية : 113 .

المصادر والمراجع

- أسس علم اللغة : ماريو باي ، تحقيق : أحمد مختار عمر ، طرابلس ، 1973م .
- الإسلام الأسس : كولين نيرنر : الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، تح : نجوان نور الدين ، مراجعة : سعود المولى ، ط1 ، بيروت ، 2009م .
- أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية : بلاشير ، ترجمة : حامد طاهر ، مجلة اللسان العربي ، مجلد (15) ، ج1 ، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، الرباط ، المملكة المغربية .
- الأضداد في اللغة العربية : محمد حسين آل ياسين ، ط1 ، 1974م ، مطبعة المعارف ، بغداد .
- بين مفهوم التضاد والطباق عند اللغويين والبلاغيين : د . نجاتي عمر ، مجلة الدراسات اللغوية ، بغداد ، العدد 11 ، 2014م .
- تاريخ الفلسفة في الإسلام : م . دي بور ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط2 ، 1948م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- الترادف في القرآن الكريم : دراسة تطبيقية على الربع الأخير من الذكر الحكيم : سميرة علي أحمد شهوب ، رسالة ماجستير ، جامعة طرابلس للغة والأدب ، قسم اللغة العربية ، 2012م .
- الترادف في اللغة العربية : ابن عاشور بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1937م .
- التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني : رسالة ماجستير ، عفراء رفيق منصور ، 2008-2009 ، جامعة تشرين ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية .
- حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية : د . ف . م بيليكين ، ترجمة : خليل جمال الدين ، مجلة المورد ، عدد 1 ، ع1 .
- دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي : د . عبد رحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979م .
- دور الكلمة في اللغة : ستيفن ألمان ، ترجمة : كمال بستر ، مكتبة الشباب ، د . ط . د . ت .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس ، تح : السيد أحمد .
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب : يوهان فك مع تعليقات المستشرق الماني شبيتا لر ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخاتجي ، مصر ، 1980م .
- علم الدلالة : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط2 ، 1998م .
- فرائد اللغة في الفروق : الأب هتريكوس لامنس اليسوعي ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، 1889م ، د . ط ، د . ت .
- فصول في فقه اللغة : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخاتجي ، القاهرة ، ط3 ، 1917م .
- القرآن الكريم .
- القرآن نزوله ، تدوينه ترجمته وتأثيره : بلاشتير ، ترجمة : رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1974م .
- الكتاب : سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1357هـ .
- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد علي النهاوندي ، تح : د . لطفي عبد البديع ، راجع : أمين الخوي ، سلسلة تراثنا ، 1975م .
- لسان العرب : ابن منظور : دار صادر ، ط3 ، بيروت ، 2004م .
- اللغة العربية الحديثة : موتان مونتي ، مجلة اللسان العربي ، العدد 1 ، 1964م ، المغرب .
- اللغة والتطور : د . عبد رحمن أيوب ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1969م .
- مذاهب التفسير الإسلامي : جولد سهير ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ، بغداد ، 1955م ، ترجمة : عبد الحليم النجار .

- معجم أسماء الأشياء : للطائف في اللغة : أحمد الدوشقي ، دار الفضيلة القاهرة ، د . ط ، د . ت .
- معجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، د . ط .
- مقدمة لدراسات اللغة : حلمي خليل ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1995م .
- نفي الترادف في التفسير البياني عند فاضل صالح السامرائي .